بطريركية الأقباط الأرثوذكس
أسرة خريجي الكلية الإكليريكية بالإسكندرية
مركز البابا كيرلس عمود الدين للدراسات اللاهوتية

باسم الثالوث القدوس

كورس الكنيسة في الثلاث قرون الأولى

المحاضرة الرابعة

النسك في القرون الثلاث الأولى في المسيحية – أبونا مكاريوس وهيب

باعتبار أن المسيحية عندما ظهرت هي منهج حياة وأنه من الموضوعات التي كانت ملفتة: موضوع النسك عند المسيحيين الأوائل – وهنا نطرح سؤال:

هل قبل المسيحية كانت فكرة النسك موجودة في الأساس أم لم تكن موجودة أم كانت مجرد اتجاه ظهر مثلا مع بداية الرهبنة؟

ج/ الحقيقة هي كانت موجودة في الفلسفات الهلينية أو الهلنستية القديمة (فكرة النسك) وكانت موجودة بكثرة في الفلسفة الرواقية وفي الفلسفة الابيقورية، كانت موجودة الفكرة، لذلك المسيحين الأوائل وجدوا في رسائل بولس الرسول أو في كتاباته توافق مع هذا الفكر، فوجدت المسيحية قبولاً ولكن بطريقة مقدسة

ولكن بخلاف النسك الذي كان عند أفلاطون أو عند أرسطو أو في الفلسفات الإبيقورية والرواقية:

أولاً: شكل النسك في الفلسفة الوثنية.

ثانياً: كيف عند مجيء المسيحية – كيف قدمت هذا النسك؟

❖ الفلسفة الرواقية أو الأبيقورية التي كانت منتشرة في أول ثلاث قرون قبل ظهور المسيحية (أي في القرن الأول ق.م المسيح وفي القرن الثاني والثالث قبل المسيح) هذه الفلسفة كانت منتشرة جداً في أوروبا وفي روما وفي كثير من العبادات الوثنية وكان هدفها هو:

تقديم منهج حياة يصلح لكل البشر، وتدور فكرة هذه الفلسفة حول موضوع "أن اللذة هي وحدها الخير الأسمى، والألم هو وحدة الشر الأقصى"

كلمة (لذة) في الفلسفة لا تعنى أبداً أن الشخص الذي يأكل ويشرب وينام ويرتاح، يكون بذلك يتلذذ،

لكنهم لديهم فكر فلسفي أعلى من ذلك، لديه فكر يقول: "أن اللذة هي التحرر من الألم"، وعندما ترد كلمة (ألم)، هناك اختلاف في تفكيرنا بين مصطلح اللذة والألم عن الفكر الفلسفي المقصود هنا.

❖ كلمة (ألم) معناها الاحتياجات: إنسان جعان هو متألم، إنسان عطشان هو متألم، إنسان عنده احتياج عاطفي هو متألم.

❖ وعندما يقول إن (اللذة) هي التحرر من الألم، الذي يسموه "الألم الطبيعي".

الطبيعي: أي الاحتياجات البشرية، شخص عنده احتياج عاطفي بمعنى لديه عاطفة كبيرة (يحب أحد بشدة أو يكره أحد).

كيف يحصل الإنسان على اللذة وهو عنده احتياجات؟

قالوا إن هذا يتم فقط من خلال فقط ممارسة الفضيلة، وأن أمارس الفضيلة، وامام ممارسة هذه الفضيلة بعينها أن أتخلى عن هذه الاحتياجات ومن هنا يظهر ضوء يسمى "النسك".

❖ **نحن نتكلم بحسب الفكر الوثني** الابيقوري او الرواقي – الإنسان إذا كان عنده احتياجات وهو يشبع هذه الاحتياجات، ستظل هذه الاحتياجات في ازدياد، مثلاً: نحن نجوع فنأكل، عمرنا ما نتوقف عن الأكل، بالعكس الاحتياج للأكل ممكن يزيد كلما احتاج جسدي لمزيد من الأكل الذي يوميا أعطيه إياه، الشخص الذي يحب الأكل المملوء بالسكريات (شيكولاتة، هريسه، جاتوه، إلخ).

عندما يأكل هو يشبع لذة ورغبة بداخله وعندما يشبع هذه اللذة تطلب المزيد.

❖ فأجابوا هل سنظل مستعبدين للذة؟!، بعد ذلك أصبح هذا الفكر مسيحي في الأساس.

❖ وقالوا لكي ما يتحرر الإنسان من هذه اللذة أو الرغبة أو من هذا الألم يجب عليه ان يتنسك فيه، يزهد فيه، لأنه ليس كل ما يطلبه الجسم أو الشهوة سنلبيها، ومن هنا قالوا: الذي يزهد في هذه اللذة والطلبات والرغبات والاحتياجات يسموها بـ"الفضيلة"، فالإنسان يتحرر من هذا الألم عن طريق ممارسة الفضيلة، لماذا يفعل ذلك؟ يقولون إنه يفعل ذلك لكي ما يصل إلى ما يسمى بالطمأنينة والسعادة.

مثال: إذا كان معي تليفون غالي، سأظل سعيد ومطمئن، ولكن إذا فقدته وضاع وكسر... انا سأتألم، واحزن، وما بين الألم وما بين الطمأنينة يوجد بينهما (الخوف) أخاف على التليفون، سأظل طول الوقت حريص على التليفون وهذا يهدد الطمأنينة التي بداخلي، طول ما كان معي

التليفون انا مطمئن وسعيد لكن عندي خوف أو قلق من ان افقده أو يكسر منى أو يسرق منى، (فكر فلسفي) إذاً يوجد شيء يهدد الشخص، فالشخص المستعبد لهذه الأشياء إما خائف أو متألم (يريد الشيء ولا يستطيع امتلاكه) أو غير مطمئن هم: ثلاث قضايا كبار تكلم عنها كل الفلاسفة الذين كانوا يعتنقوا مبدأ الرواقية والابيقورية.

❖ قالوا لكي يسمو الإنسان بهذه اللذة فوق الاحتياجات يجب عليه ان يعيش فوق مستوى اللذة الحسية وبالتالي يزهد في احتياجاته الحسية.

ملحوظة: اسرد ما سبق قوله بطريقة بسيطة، قبل فكرة النسك المسيحية، كان هناك نسك فلسفي قبل ظهور المسيحية في الحياة الوثنية، الفلاسفة اليونان كانوا كثير، كان لديهم مدارس مختلفة، الأشهر على الاطلاق في الأول ثلاث قرون قبل ظهور المسيحية كانت الفلسفة الرواقية والابيقورية **وقالوا إن الإنسان يخضع لأمرين:**

1. اللذة ⇦ إحساس معنوي، يحصل عليه الإنسان عندما يشبع احتياجاته ورغباته.
2. الألم ⇦ إحساس مادي، وإذا لم يحصل على رغباته واحتياجاته هو متألم، موجوع، يريد ان يشبع الحاجة التي لديه.

وإذا أشبع الإنسان الحاجة التي لديه، الجسم والنفس تطلب الزيادة، وإذا أعطى الإنسان المزيد لشهواته يطلب أكثر، وفي حالة عدم توافرها يدخل الإنسان في عدم السعادة وفي نفس الوقت إذا أخذ يكون غير مطمئن، خائف إذا لم يجد الغد، فدخل إحساس أخر وهو الخوف أو عدم الطمأنينة، ولكي نصل لكل هذا لكي لا تؤثر في الإنسان ماذا يفعل؟ يزهد فيها أو يتنسك عن طريق ممارسة الفضيلة بمعنى الإنسان يسمو باللذة الحسية إلى مستوى آخر من اللذة اسمه "اللذة العقلية"، وقال واحد من الفلاسفة: حتى إذ زهدنا عن كل ما هو حسي وكل ما هو مادي، يوجد شيئان يهددان السلام والطمأنينة عندنا، كل هذا فكر وثني فقالوا: يوجد الدين ويوجد الموت.

1. الدين: لأنه يوجد نواهي وأوامر، فإذا لم تفعل الأوامر، انت مقصر ستلقي عذاب من الإله.

وإذا عملت النواهي، التي ينهى عنها الدين، فأنت أيضاً ستلقي عقاب من الإله وهذا ليس فيه حل.

2. الموت: يهدد الإنسان مهما عاش الإنسان في نسك وفي لذة عقلية يسمو بها عن اللذة الحسية سيموت في النهاية، ستنتهي حياته، هذه حقيقة، ماذا نفعل؟ بما أني أعيش على الأرض وسأظل

أسمو باللذة الحسية، سأقمع الشهوات والرغبات التي لدي لكن لماذا أفعل ذلك؟ لكي ما أصل للطمأنينة والسلام.

يقولوا إنه حتى لو فعلت ذلك ستصل إلى حقيقتين موجودتين بالفعل ليس لهما علاج:

1. الدين: أياً كان المعبود الذي تعبده، لأن هذا المعبود يعطي أوامر ويعطي نواهي

أوامر ⇦ يعنى وصية، افعل كذا.

نواهي⇦ يعنى لا تفعل كذا.

فإذا ظل الإنسان طول عمره خاضع للأوامر والنواهي، يمكن أن يكون هو أيضاً مقصر، يمكن أن يكون فعلها حسب ديانته، وهناك أشياء أيضاً نهى عنها الدين، ففعلها، سينال العقاب، فيظل يفكر كيف ستتم معاقبته وكيف سأحاسب، هل انا مقصر ام لا.

2. الموت (ليس له حل): سأظل أسمو باللذة الحسية واتمتع باللذة العقلية وفي النهاية سوف أموت.

❖ **وكيف نخرج من هذا؟**

لم يكن هناك مخرج من هاتين القضيتين إلا ما قدمه بولس الرسول في فلسفته المسيحية. نتكلم عن كل هذا لكن نعرف من أين جاء النسك في المسيحية؟

❖ بولس الرسل قال: (1كو9: 27) "بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ، حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضًا" يجب ان اقمع جسدي وأستعبده وأسمو فوق مستوى اللذة الحسية وفي نفس الوقت نرى قضية الموت، فقال بولس الرسول أيضاً في (رو6: 23) الإنسان مات بسبب الخطية، "لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ".

فجاء السيد المسيح زال منا الخوف من الموت والخوف من الدين لذلك يقول لنا: (يو8: 36) "فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا" فلا توجد عبودية.

والموت: أعطانا الخلاص بالصليب، لذلك يقول بولس الرسول وهو يتكلم عن الصليب قال انه عند اليونانيين جهالة، ماذا يعنى ذلك؟ يعنى لا يعرفون سر الصليب، يجهلوه، لأنه يحل لهم مشكلة الدين ومشكلة الموت، اللذان ليس لهم حل، وقال أيضاً أن الصليب عند اليهود عثرة لأنه قال في (غلا3: 13) "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»."

❖ **كيف عالج بولس الرسول هذا؟**

عالجه في رسالته (1كو15: 36) "يَا غَبِيُّ! الَّذِي تَزْرَعُهُ لاَ يُحْيَا إِنْ لَمْ يَمُتْ"، إذاً الإنسان عندما يموت ليس الموت مخيف لان هذا هو الطريق الذي يقوده لحياة أفضل.

❖ قضية الخوف: تجعل الإنسان غير سعيد وغير مستمتع،

يقول: لا نحن لدينا خوف مقبول لكي يستطيع أن يعيش الإنسان ويسمى "بالخوف الغريزي"، وهذا الخوف الغريزي، الكتاب المقدس أحترمه جداً كمشاعر إنسانية نتيجة الضعف البشرى فيقول مثلا: (2كو1: 8- 9) "فَإِنَّنَا لاَ نُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ ضِيقَتِنَا الَّتِي أَصَابَتْنَا فِي أَسِيَّا، أَنَّنَا تَثَقَّلْنَا جِدًّا فَوْقَ الطَّاقَةِ، حَتَّى أَيِسْنَا مِنَ الْحَيَاةِ أَيْضًا. لكِنْ كَانَ لَنَا فِي أَنْفُسِنَا حُكْمُ الْمَوْتِ، لِكَيْ لاَ نَكُونَ مُتَّكِلِينَ عَلَى أَنْفُسِنَا بَلْ عَلَى اللهِ الَّذِي يُقِيمُ الأَمْوَاتَ"، ربنا يقيم الإنسان من الموت، وماذا عن الخوف الذي بداخلنا؟ (2كو1: 10) "الَّذِي نَجَّانَا مِنْ مَوْتٍ مِثْلِ هذَا، وَهُوَ يُنَجِّي. الَّذِي لَنَا رَجَاءٌ فِيهِ أَنَّهُ سَيُنَجِّي أَيْضًا فِيمَا بَعْدُ."

❖ لذلك كانت هناك مفاهيم مشتركة في منهج الحياة الفلسفي للسمو باللذة بين بولس الرسول وبين فيلسوف رواقي مشهور جداً اسمه "**سينيكا** – **Lucius Annaeus Seneca**" فعندما جاءت المسيحية لتنتشر بمفاهيم بولس الرسول في النسك وجدت كلام يشبه كلام سينيكا ولكن تحل لهم قضيتين كبيرتين: (الدين والموت)

سينيكا وصل إلى أن:

1. الإنسان يخاف على حياته.

لكن بولس الرسول قال الحياة ليست مهمة لان الموت هو ربح.

2. فيخاف على مقتنياته.

فقال: (في3: 8) "بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ"، وكذلك كانت أسمى شيء أن الإنسان يحصل على المواطنة الرومانية أو الجنسية الرومانية، وفكرة الوطن والدفاع عن الوطن والدفاع عن الأرض هذه في الأساس فكرة أسسها الدستور الروماني، كان الإنسان الذي معه الجنسية الرومانية مجرد قوله أنه سوف يدخل الجيش لكي يدافع عن أرضى،

الدولة أو الإمبراطورية الرومانية تعطيه قطعة أرض لكي يبني منزل ويعيش فيه، وإذا تزوج الرجل ورزق بولد ودخل الجيش يعطوه قطعة أرض أيضاً وهكذا، فتتسع الأراضي إلى أن تصبح إماره، لذلك نقول عن: مارجرجس انه كان أمير لأنه كان في الجيش، ووالده كان أمير، فبدأ مارجرجس يتسع كلما دخل حرب ودافع وانتصر يعطوه أرض وهكذا، إلى أن أصبح أمير، لديه عزبة، مقاطعة، قرية، فيعيش الشخص في الإمبراطورية الرومانية سعيد.

أما بولس الرسول فيقول إن هذا الكلام لا يحل أبداً قضية الموت لذلك عندما تكلم عن قيامة السيد المسيح (1كو15: 19) "إِنْ كَانَ لَنَا فِي هذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطْ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ، فَإِنَّنَا أَشْقَى جَمِيعِ النَّاسِ"، لأننا سوف نموت ونتركها، ومن هنا بدأ الإنسان يفكر في شكل الموت والسمو باللذة.

بأسلوب أخر:

- الأفضل للإنسان أن يترك كل شيء ويبحث عن وطن أفضل، الذي هو "الوطن السماوي" وعندما تقدم هذا الفكر بدأ يجد رواج في المسيحية وبدأ يظهر عند الناس مبادئ للعيشة النسكية، هذا الكلام بدأ في القرون الثلاث الأولى بعد الميلاد أو يسمى "عصر ما قبل نيقية" فيظهر عند الناس مجموعات، فئات نسكية من الناس بدأ ينهجوا مناهج، لا أتكلم عن زمن الرهبنة لأن الرهبنة جاءت بعد ذلك، بدأ ظهور جماعه أطلقوا عليهم: "العذارى البتوليين" والعذارى لم يكن المقصود بهم الفتيات فقط وإنما تشمل الفتيان أيضاً ويظهر مجموعة أخرى نسكية هم متزوجين بالفعل لكن زهدوا في العلاقات الزوجية او المعاشرات الزوجية واعتبروا هذا الزواج علاقات أخويه بمعنى أن الرجل يتزوج ويعيش مع أمرأته مثل الأخوة، ويمكن أن يتزوج فقط من أجل الإنجاب ولكنه يعيش مع أمرأته طول الوقت مثل الأخوة وعندما انتشرت الرهبنة بعد ذلك في عصور لاحقه هؤلاء الناس ذهبوا التحقوا بجامعات رهبانية هم وأولادهم (الام تأخذ ابنتها وتذهب لبيت العذارى، والرجل يأخذ ابنه ويذهب لدير من الاديرة) واعتبروا ان هذا الزواج من باب أولى زواج روحي، هذا في القرن الثاني الميلادي تكلم عنه القديس إكليمندس الروماني الذي كان معلم كبير للمسيحين في روما وقال: "لا يحل للمتزوج أن يترك أمرأته لعلة الزهد إلا إذا كان هذا باتفاق بين الطرفين، ويعتبر إكليمندس الروماني من أوائل المؤسسين للجامعات الرهبانية للعذارى الفتيات والفتيان في روما قبل انتشار الرهبنة، ويعتبروا أيضاً أن متى الرسول أول من نادى برهبنة البنات وقال أنهم يستطيعوا أن يمتثلوا بالسيدة العذراء أن

يحتفظوا ببتوليتهم ويعيشون عذارى في القرن الأول الميلادي.

❖ وبدأ يدخل في المسيحية، نحن كنساك سوف نحيا كالفكر الوثني، لأن الفكر الوثني يعتبر أن هذا الجسد هو شر وأنه معطل للسمو عن مستوى اللذة، فيعطل الإنسان عن معرفة الإله وأن يحيى حياة أفضل، فالنسك في المسيحية أختلف.

قالوا:

❖ النسك هو نوع من أنواع إماته الجسد، كيف نُميت الجسد؟ سنضعفه في المسيحية؟ لا، سنكرهه في المسيحية؟ لا، سنجرح أنفسنا مثل العبادات الوثنية؟ لا، لكن

في الفكر الوثني إن هذا الجسد يظل يضعفه فيضعفه ويكرهه ويبغضه، لأن بولس الرسول نفسه قال: (أف5: 29) "فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ، بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا الرَّبُّ أَيْضًا لِلْكَنِيسَةِ"، إذاً الجسد في المسيحية هو وزنة يجب على الإنسان أن يكون أمين عليها بينما في الممارسات النسكية الوثنية هو ليس بوزنة، هو معطل، فكان مكروه.

❖ واعتبر المسيحيين الأوائل أن النسك أيضاً نوع من أنواع العبادة بقصد تقديم الجسد ذبيحة فيمارسون ساعات طويلة من الأصوام ويركزون في الأصوام على نوعيات معينة من الطعام ولا يأكلون الأكل الحيواني كنوع من أنواع تقديم الذبيحة، لكن في العبادات الوثنية كان لهم أن يمارسوا النسك كنوع من أنواع إضعاف الجسد أو إهلاكه، لكي يتذكر الإنسان إذا فعل أمر معين أنه سوف يخرج فوق مستوى اللذة إلى أن ظهرت مبادئ أساسية للنسك المسيحي.

كما قال مجمع أورشليم: "لا يثقل على الراجعين من الأمم والداخلين من الأمم إلى الإيمان إلا وأن يمتنعوا عن المخنوق والزنا والدم المائت.

ففي النسك المسيحي بدأ يكون هناك معايير:

1. البتولية.
2. الفقر الاختياري: الإنسان يختار أن يكون فقير، والفقر الاختياري هنا ليس معناه أن يترك الإنسان مقتنياته ولكن يستعمل منها ما يكفي لمعيشته فقط، لذلك نجد ملوك مسيحين وأولاد ملوك مسيحين يديروا امبراطوريات أو ممالك وهم يعيشون عيشه داخليه في فقر اختياري، لا يتنعم كإمبراطور أو كملك، لكنه يعيش بحياة الكفاف.

3. الطاعة: لكي يتنسك الإنسان، لا يمكنه أن يتنسك إلا بإرشاد، وإذا خضع للإرشاد، أصبح في طاعة، وإذا لم يخضع للإرشاد ذهبت الطاعة، هذا هو مبدأ النسك، لأنه يشترط على الإنسان الناسك: أن يُخضع مشيئته قبل جسده، لذلك في الجامعات الرهبانية، كان هناك أب (مرشد) يُعلم الناس أو يُعلم الرهبان وهم يطيعوه، وإذا لم يطيعه يسقط مبدأ النسك، فالإنسان يأخذ تداريب للطاعة ويخضع لها ويطيع الكلام، لذلك يستطيع أن ينمو في فضيلة النسك.

4. الصبر: لم يذكر في كثير من الكتب ولكن ذُكِرَ في النسك في كنائس الروم الأرثوذكس، أساسي في الرهبنة على الرغم من أنهم لم يكتبوه في كتبنا النسكية لأنه مفهوم ضمنياً، لأن الإنسان لو لم يصبر على نفسه وسط هؤلاء وترك النسك والبتولية والطاعة والفقر الاختياري، يمكنه أن يبدأ حسناً ولكنه لا يستطيع الاستمرار بسبب أنه غير صابر.

هؤلاء أربع مبادئ اساسية للنسك المسيحي.

❖ كل هذا قبل ظهور الرهبنة ولكن عندما بدأت الرهبنة في الظهور كفكرة وكمنهج ومبدأ كان موجود من ضمن كتابات بولس الرسول في الكتاب المقدس، وكان موجود على مستوى الفكر الفلسفي، لكن كله على مستوى الحس والجسد فقط، لم يكن هناك البعد الروحي، بولس الرسول أنار البعد الروحي وحل مشكلة الدين، الخوف من الدين والخوف من الموت وهما أصبحا دافع ليتنسك الإنسان فيزهد فيقدم حياته في ساحات الاستشهاد وعند انتهاء الاستشهاد، الإنسان يتنسك ويزهد فيذهب إلى الدير ويعيش في جماعات رهبانية سواء رجل كان أو أمرأه، وعندما جاءت الرهبنة اضافت بُعد جديد أسمه "البعد النظامي" يعني يكون الطاعة والبتولية والفقر الاختياري والصبر داخل منظومة منظمة، كيف نسكن، كيف نأكل، كيف نصلي، كي نعيش سوياً وبعد ذلك ظلت الرهبنة في تطور من حياة الرهبنة التوحدية إلى حياة الرهبنة الديرية إلى حياة الشركة.

❖ نظام الشركة الذي اسسه الانبا باخوميوس، فأصبحت هناك جماعات تخضع لنظم وقوانين تحكمنا، يوجد الأب الرئيس يقوم بإدارة المكان، وهناك الأب المرشد الروحي له من الحكمة. وكانت الصحراء في مصر مليئة بالآباء المرشدين الروحيين، كل واحد له منهجه، وله مدرسته، وكل واحد له نظامه.

ولإلهنا الْمَجْد الدائم مِنْ الْآنَ وإلَىّ الْأَبَد أمِين